قراءة في كتابه (لدي اسئلة كثيرة)

يوسف ابو الفوز يرسم بصمته فوق وجوه الطفولة الكردية

زهير كاظم عبود

ربما كانت الاقتناصات التي استلها ابو الفوز من دفتر الذاكرة تصلح ان تكون شهادة صادقة ومليئة بالوجع الانساني، وهي تؤرق ليل القرى الكوردية المسوحة من خارطة الوطن المستباح، او بيوت ترحل كما ترحل الريح والثلج كل عام، او كطيور السنونو التي تهاجر بعد اول قذيفة مدفع او ارتطام صاروخ بصخرة كوردية.

ربما تنتشر الحكايات انتشار الشظايا وتفتت الصخور، وربما تحلق مع السحاب فوق هامات الأطفال مثل البالونات التي فرت من ذاكرتهم، لكنها ترتسم فوق وجه الطفولة ابداً .

اقول ربما وانا اضع ثقتي في الصور التي جسدها الكاتب ومن دون ان يزوقها او يرشها بملح الحزن بدت من خلال عبارات الاطفال عفوية تارة ونابعة من أعماق القلب في كل الاحيان.

والأسئلة الكثيرة التي تزدحم في رأس الأطفال، نفسها تلح على (ابو الفوز) ان يجد الجواب، كيف يعيش الناس في الخراب؟ واين يلعب الاطفال.. وبماذا يلعبون؟؟

وحين يكتب شاعر مثل عبد الله به شيو الذي كتب مقدمة الشهادة بالعديد من كلمات الالم والوجع، ثم يدلي بشهادته حول دائرة الضمائر المتقدة التي بدأت تتسع، وأشارة مثل هذه تؤشر بما لا يقبل الشك أن مثل يوسف (ابو الفوز) العديد من الضمائر العربية التي تضع ليس فقط الأطفال والحقيقة ، وانما حقوق شعب كوردستان كلها في الضمير، وحقاً أن اتساع دائرة الضمائر الحية والمتوهجة تتقد يوماً بعد يوم تجاه حقوق شعب مثل شعب كوردستان، حاولت السلطات الشوفينية بما تملكه من امكانات وقدرات لا ان تلغي فقط انتصار الضمائر الحية، بل وأن تغتال الضمائر الحية فسقطت الى الحضيض وتألقت تلك الضمائر أبداً.

ويبدو ان العبء الانساني الذي تحمله مضاعفا يوسف ابو الفوز يكاد يتضاعف، فهو يختزن في ذاكرته ليس ما يقوله لنفسه بل حتى ما يتحدث به الاخرون، فيصير وعاء مليئا بالحزن واللوعة ، ولذا تاتي حكايات النصير بوتان والنصير بسام والنصير ابو امال ووصفي وابو بشار وابو حسن الحبيب وفرهاد وحيدر ابو حيدر وابو احرار وأسماء اخرى عبقة، غير ان لكل واحد منهم حكاية مع طفل كوردستاني وفجيعة وحزن يكبر مع ثمة سؤال يكبر، أين هم الان؟ بل اين شخوص الحكايا وهم الذين منحوا اعمارهم للعراق ووزعوا ايامهم في خدمة الأنسان في كل مكان .

((كل شيء ياتي مرة
الا انت ياطيران))

أي صورة فجائعية يرسمها زاخاروف الطفل النحيل وهو الذي ترعبه لحظات الزئير المتكرر، وتجمد اعصابه ومفاصله حين تشخر كما الموتى من اعالي السماء حيث لا مفر من الشظايا سوى الكهوف والحفر.

او خليل الذي يخاف الليل فلا تغمض عيونه ويمثل لوحات عسكرية لم يالفها، او فيدل النابض بالحيوية والشقاوة او العصفور الكوردي زوزك ذو الثلاث سنوات او ماجد ووفاء وريناز وريناز وعاصف وفؤاد وحبيب... أين هم الان؟

ذاكرة الطفولة وعذابات الأيام وتضاريس الحزن المرسوم على الوجوه الحلوة، والخوف المنتشر فوق تقاطيع الوجوة الترفة والبريئة، ودفء الأنصار الذين ينشرون ارواحهم فوق هامات الأطفال لحرمانهم من طفولتهم وأطفالهم، وربما لتجسيد محبة الناس.

ثم يقتنص الشاعر النصير عبد القادر البصري (ابو طالب) فيضيع وسط محنة الناس وازدحام الحروف بين ثنايا السهول وقمم الجبال واشجار الجوز الطويلة فيحيلها الى ومضات تملأ القلب حنينا وبوحاً واسرار طفولة فيقول:

((ومضة في سماء القلب
مرت ومر الطيف ضاحكا
قبل قليل
طائرة مرت،
بعدها..
كان الطفل قتيلا .))

شهادات كل من نظمي عبيد ١١ سنة، ونهاد طيب ١٢ سنة، وخيري سعيد ١٠ سنوات ، ونبيل عبد الخالق ١٣ سنة، ونداء لطفي حاتم التي تصلح شهادتها وحدها لان تدونها الذاكرة وتتحدث بها الاجيال فتتعلم القراءة والكتابة من دون مدرسة وتتحدى القصف المعادي فلا تخافه ولا تختبئ، كما تتحدى المدفعية، وتصاب بالعمى لأربعة ايام من أثر القصف الكيمياوي، وتسير خمسة ايام بلياليها على قدميها الصغيرتين المتعبتين، وتنام في العراء وتاكل القليل القليل، وتتمنى ان يموت صدام، ولنداء قصص اخرى تتداخل فيها احلام الأطفال ومحنة الزمان والمكان، ونداء التي لم تتعد بعد العشر سنوات تجتاز الحدود من دون تذكرة سفر ودون جوازات مرور ، لكنها تؤكد شيئا واحداً هو أن للأرادة مكاناً في قلوب الأطفال والكبار .

ربما يتذكر سردار الشيخ القرى التي تضيئها قنابل الجيش في الليل، فيصير الضوء خيطاً كما تبرق السماء حنيناً في شتاء الناس الموحش، أو تنغلق القاذفات حين تنقض فوق المواضع والتجمعات توزع شررها، وتختلط اصوات انفجاراتها مع صرخات الطفولة، وسالم وبيريفيان وكل القرى التي طحنتها الحروب، ورسمت فوقها علاماتها، وبقيت فوقها أثراً لأقدامهم الطرية وبقايا العابهم من اغصان الشجر والعشب المتكسر بعد شتاء طويل، وتراب معجون بينابيع العيون الباردة، واكياس لااحد يعرف مابها فتبقى أسرارها عميقة، وليال من دون نوم ، ونوم لاياتي مع الجوع، وحشائش ليس لها طعم، واسرار يخونها عقل صغير يبوح بها ليوسف، وآه يايوسف من اسرار الاطفال.

المخيمات التي انتشرت على خط الحدود الآيرانية والعراقية، والحرس المدجج بالسلاح، واللغة التي لا يفهمها الاطفال، وحشود من البشر تتجمع حول مواقد النار، وارغفة من الخبز تتكسر بين أيديهم فيلتقطونها من فوق الارض، وصمت مريب فلا احد يسأل ولا احد يجيب ، وأسئلة كثيرة!! ولكن الى اين الذهاب والخراب يحيط بالبشر ؟؟

يراقب الاطفال الرجال يلفون السجائر من ورق الدفاتر العتيقة، ومن اوراق الشجر المتيبس، ثم يختلط الهمس ببكاء الأطفال المرضى ، ومشاعر تهتز لمجرد صدور اي صوت مهما كان مصدره ونوعه ، وبرد ينخر العظام، وعراء وطين يلوث الملابس ويتدثر مع الاطفال قرب المدافئ البدائية، وشتاء لا ينقضي، وصيف لا يجيء، وقمر خجول يستحي ان يضيء فيختبئ خلف التلال او الجبال ، ثم لا يلبث ان يرحل دون ان يترك بطاقته او تذكرة للعودة .

وموتى يتم دفنهم من دون ان يتمكن الأطفال أن يطلوا على وجوههم أو يشغلوا فضولهم، ومن دون ان يشاهدوا وجوه اصدقائهم الذين رحلوا باردين، غير انهم لمحوهم متيبسين ملفوفين بثيابهم الممتلئة بالطين، وامهاتهم منكوشات الشعر ومحمرات العيون ، الى أين؟! لا احد يدري فشتاء يعقبه شتاء!!

ربما في ليل القرى او في نهارات المجمعات التي صارت مكاناً وحيداً لحياتهم أن يتعلموا من دون مدارس، ويلعبوا من دون دراجات هوائية أو اصباغ ملونة، ويتسامروا من دون ضجيج فقد اضاعوا طفولتهم عند مشارف تلك القرى التي لا أسم لها ولا أثر على خارطة الوطن.

المقرات التي تنقل بها الكاتب ابو الفوز تشكل له نقطة الارتكاز التي يتوزع منها الاطفال وتتوزع معها قصصهم وخيالاتهم وحياتهم ، منهم من عاد الى اهله، والعديد منهم ضاع بين تلك القرى التي مسحت من الخارطة، وبين كل المسافات القصية ،واستطاع ابو الفوز ان يلتقط كل تلك الشهادات بأمانة المتابع لينقشها في ذاكرته فقد أضاع اوراقه مرات عديدة.

ولذا يتذكر المسرحيات التي اشترك بها الاطفال، ويتذكر رفاقه الذين انتجوا عملا مسرحيا في زمن ممتلئ بالرعب والموت، غير ان الوجوه صارت كلها أطفالاً، فلا وصف لوجه مورد او ممتلئ انما كانت كل تلك الوجوه صابرة وصامدة ممتلئة بالغضب والعنفوان، غير انها ضاعت كما ضاعت قصائد الطفل زاخاروف التي قدم لها الشاعر ابو طالب البصري.

وكتاب (لدي اسئلة كثيرة) الذي كتبه ابو الفوز من اصدار وزارة الثقافة بحكومة اقليم كوردستان ٢٠٠٤، يشكل منجزا ادبيا يختلف عن مجموعته القصصية (عراقيون)، او تجربته الانصارية (تضاريس الايام في دفاتر نصير)، اوفي انتظار يوم اخر او طائر الدهشة والطائر السحري ،غير ان شيئا ما يجمعها كلها بما فيها كتابه الأخير (لدي اسئلة كثيرة) وهو ان الكاتب يرصد معاناة الانسان ويترجمها الى الواقع فيسجل معاناة العراقيين في المهجر، ثم ينقل معاناة الانسان وكفاحه في تجربة الانصار في كوردستان، ثم لا يلبث ان يرسم صور المعاناة الإنسانية للعراقيين في مخيمات اللجوء. اخيرا ما يختزنه في ذاكرته النشطة من قصص الطفولة.

وللشهادات التي دونها ابو الفوز معنى عميق يبتدئ من تخندق الضمير العربي في وصف المحنة، ويستمر من خلال الفجائع التي مرت كسلسلة طويلة على حياة الكورد كشعب، ولاسيما الأطفال الذين تناستهم المنظمات الإنسانية، وغض الطرف عنهم المجتمع الدولي، وتنتهي بحلبجة وكل المحن التي سجلتها ايام التاريخ عليهم، لذا يستوجب أن تولي الدوائر الثقافية والسياسية اهتماما كبيراً بهذه الشهادات وأن يتم توظيفها كتذكرة للأجيال القادمة، ويقينا لو اتيحت الفرصة للقاص يوسف ابو الفوز أن يتفرغ لأسهب في وصف الشهادات التي اؤتمن عليها كشهادة تاريخية لها عمق ودلالات كبيرة القيمة.

> ربما يكون الكاتب العراقي يوسف ابو الفوز اول من التفت الى معاناة الطفولة وتيبس مشاعرها خوفاً واحتراقاً ورعباً ، وربما يكون من القلة الذين خلطوا مشاعرهم الإنسانية بمشاعر الأطفال فيخلط عمره وتعبه الإنساني ويدسه بين وجوه الأطفال وتجمعاتهم وحركاتهم ، ويوظف طاقته وقدرته على التحدث والفات نظرهم واهتمامهم فيتحدثون معه عن اسرارهم.
>
> ربما يكون يوسف ابو الفوز من العرب القلائل التي جاهدت لتنشر ارواحها فوق روابي كوردستان وترسم بكلماتها فوق ورق يضيع في كل الاحيان بنتيجة القصف المعادي والتنقل السريع ، عوالم ومشاعر وصور تكاد تبقى عالقة في الذاكرة ، غير انها نقشت حكاياتها في وجداننا فبقي امينا عليها ، بالرغم من تعدد المحطات والاغترابات والقطارات والمنافي ، الا ان (ابو الفوز) يبقى ذلك الطفل الذي ينتمي الى الحكايات.

حوار المنفى والفن

طالب غالي الذي عاد إلى البصرة

اجرى اللقاء محمد ناجي

للفنان طالب غالي تجربة ابداع فني تستحق أكثر من وقفة ، وهي جديرة بالتقدير والتقييم والدراسة ، منذ بدأت في ستينيات القرن الماضي على ضفاف شط العرب ، ونضجت بعد أن امتدت ، في زمن مضى ، بالطول والعرض فوق تضاريس المنفى والألم العراقي. وفي الزمن الجديد ، في رحلتنا نحو الفرح ، أخذت ترتدي حلة من التألق وتعود ، كما بدأت ، لتتطهر بماء الفراتين ، وتواصل العطاء...

❖المسيرةال الطويلة للفنان تبدأ من نقطة ما. كيف كانت البداية معك؟

– بدأت من تراكم مفردات الحياة، من كلمة رقيقة، من هدهدة تنويمة حنونة، من تغريدة عصفور، من نقرة خفيفة على أبواب الطفولة، من سماع أغنية أم تهمس باذن وليدها بشجن جميل، من صرخة ألم تمر مثل خطفة جناح، من تقاطع الالوان واشتباك الضياء بالظلام، من سؤال يثير دهشة طفل، من قراءات أمي (الملّة)، التي قرأت لي، مرة بيتاً من قصيدة للشاعر عنترة العبسي، فتركت في نفسي أثرا بيّناً، بعد أن تغلغلت موسيقاه في جوانحي، وما زلت أتذكر ذلك البيت :

سكتّ وغِرّ أعدائي السكوتُ وظنوني لأهلي قد نسيتْ

وهكذا ابتدأ الشغف يتصاعد بي لقراءة الشعر والقصص، ومع القراءة، انبثقت موهبة الشعر، فكان لي الأليف الجميل، حتى تمكنت من طبع ديواني الأول (حكاية طائر النورس) عام ١٩٧٤، ولديّ الآن مجموعة قصائد لم تنشر بعد. أما الموسيقى فهي التوأم الطبيعي للشعر، تتعانق وتتمازج معه وتتصاعد مكونة لوحة، وعالما جديدا. وهكذا أنا، تشدني الموسيقى تارة فأدنو منها لتحضنني، ويأخذني الشعر تارة أخرى لأحلق في سماواته. وفي الموسيقى ابتدأت بتلحين وغناء بعض الاغاني العاطفية وقدمتها على مسارح البصرة. وكانت لي مشاركة في اوبريت (بيادر خير)، لكن أهم الأعمال التي قدمتها كان اوبريت (المطرقة) وهوعمل موسيقي بارز ومهم قدمته الفرقة البصرية على قاعة الخلد عام ١٩٧٠ ولاقى حينها نجاحا ملحوظا. كما قدمت مسرحيات غنائية كثيرة أهمها (العروسة بهية).

❖ما هي الظروف التي ادت إلى مغادرة العراق وتأثيرها على مشوارك؟

– بعد هجمة النظام البائد على القوى الوطنية والديمقراطية ومحاربة الافكار والتطلعات التي لا تتفق وتوجهات السلطة، غادرت البصرة الى الكويت. وهناك كانت سنوات العطاء الفني المتميز، فالتقيت بالفنان فؤاد سالم الذي رافقني في مسيرتي الفنية، وكان الصوت الحقيقي والمعبر بابداع واحساس جميل عن كل الحاني. وقدمنا معا أغاني عاطفية ووطنية، أهمها روائع السياب (غريب على الخليج) و (أنشودة المطر) و (دجلة الخير) للجواهري. كما قدمت ثلاث مسرحيات غنائية للأطفال منها مسرحية (سندس) التي فازت بالمرتبة الاولى في الاخراج والتلحين والنص. ولكن النظام البائد لاحقنا حتى في الكويت فاضطررنا للرحيل الى الاردن، وبعدها الى موسكو ومنها الى الدانمارك، التي أقيم فيها منذ عام ١٩٩٢، وأستمر في التواصل مع الوطن في همومه وجراحاته وتطلعاته من خلال اغنيات تحمل في ثناياها الحنين وحب الوطن والدعوة لإعادة بنائه بالتسامح والوحدة الوطنية، وقدمت أغنيات سالم المرزوق للشاعر سعدي يوسف، وقصائد للصكار، وكريم كاصد، وعدنان الصائغ، وآخرين..

وبعد سقوط نظام الطغيان أنجزت العديد من الاغاني، وقدمت احداها من على شاشة قناة الفيحاء وهي أول أغنية تبشر بالفرح قدمت في العهد الجديد وهي من كلمات الشاعر خلدون جاويد :

قلبي عراق أحلى فجر والورد من إلوانِي
والشمس عدنا منورة وفستانها رمّاني
والبصرة من شوقي نبع والهوى كردستاني

ولديّ أغان عاطفية جميلة كتبها الشاعر خلدون جاويد تنتظر دورها كي تلتقي بكل العشاق والحالمين بغد أفضل يتمكن فيه الانسان من التحليق في سماوات صافية اليفة خالية من سحب القهر السود... وهكذا فالمسيرة مستمرة.

❖البصرة ! مدينة إبداع على مر تأريخها. ما سرّها؟

– لكل مدينة أسرارها وسفرها الخاص، لكن البصرة تتميز عن غيرها من المدن موقعا وتأريخا وعطاء، فحملت أسماء عديدة منها (بصرياثا) وهو اسم آرامي و(باميرا) أي مدينة النخيل وهو الاسم الذي اطلقه عليها الاسكندر المقدوني، واكتسب اهلها الوداعة والطيبة من عطاء نخلها ومياه انهارها فأتصفوا بالكرم والمرح.

البصرة مدينة وادعة تفتح ابوابها للوافدين وتمنح حبها بتلقائية ويسر، ولا تجعلهم يتعبون من الدوران حول اسرارها حائرين مترددين. البصرة مدينة حالمة تستقبل صباحاتها الشمس والندى وهي العناق والملتقى السرمدي لنهري دجلة والفرات، فتشرب من مائهما العذب وتغسل قدميها بماء البحر، وعبره انفتحت على حكايات البلدان البعيدة التي حملتها اليها سفن السندباد من أساطير وفلسفات بلدان أخرى، فاستقبلت حضارات وثقافات واقواماً مختلفة عبر العصور، وتفاعلت معها لتنشأ على ارضها حركة المعتزلة التي كان على رأسها حسن البصري وحركة اخوان الصفا، وتشكلت فيها مدارس للنحو واللغة وعلى رأسها الفراهيدي ومدارس للأدب والفلسفة وبرز فيها الجاحظ والأصمعي وبشار بن برد... وغيرهم، كما كان سوق المربد القديم منتدى شعرياً يلتقي فيه الشعراء لقراءة قصائدهم ويطرحون فيه آراءهم وحواراتهم في القضايا الاجتماعية والسياسية. وظلت البصرة مسرحا لكل التفاعلات الفكرية والادبية وأرضا خصبة تنبت الابداع في مجال الحكمة والزهد والفلسفة. ومدينة هذا نبضها وتراثها وتاريخها وابداعاتها يشفع لها ان تتقدم المدن والحواضر الاخرى، فهي تزهو بمبدعيها من ادباء ومفكرين وفنانين فهي مدينة السياب، وسعدي يوسف والصكار وكريم كاصد ومحمد خضير وياسين النصير وفيصل وعفيفة لعيبي وقاسم حول ومحمود عبد الوهاب ومصطفى عبد الله ومهدي عيسى الصكر وكاظم الحجاج وحميد البصري وفؤاد سالم وآخرين، وتتوالى أجيال جديدة تحمل رايات الابداع في مختلف الميادين، لتظل البصرة مدينة عطاء وتجدد.

❖هل عدت والتقيت بها ؟ وكيف وجدتها ؟

–نعم، زرتها قبل سنة. كان استقبال الأهل والأصدقاء لنا بالدموع والهلاهل والعناق قد حال دون احتضاني لها أولا، وتعرفها عليّ، وبعد ان اتجه الموكب بنا الى داخل البصرة كنت انظر من خلال غلالة شفيفة من الدموع الى سمائها وربوعها وشوارعها. شعرت بها هي الاخرى تغص بالدموع وكأنها قصيدة شعر حزينة ماتت الضحكة على شفتيها. الارض كالحة ووجوه الناس يلفها الوجوم وفي العيون يرقد أسى وحزن عميقان. والانهار تلك التي كانت تجري زلالا وتنساب بين بساتين النخيل مطمئنة رقراقة رأيتها وقد غطت شواطئها النفايات واطارات السيارات ويغطيها وقود المحركات. شارع الكورنيش شارع العشاق الذي يعانق شط العرب ويطل عليه بحميمية والفة اضحى لوحة بائسة وقد تراكمت على ارصفته الاوساخ والفضلات وغطت وجهه المشرق الجميل، ألا يدمي القلب مثل هذا المنظر؟ لم تكن هي تلك البصرة الحالمة التي تبتسم بخفر عذري، البصرة العذبة الجميلة، مدينة الأفياء والظلال. لكنها تبقى مدينتي الحبيبة وستنفض عنها ركام الزمن والمحن والأنواء وتخرج مثل حمامة بيضاء تحلق في الأفق وتعود تستقبل ضيوفها ومحبيها بالورد والآس والرطب البرحي وبالابتسامة البصرية الحلوة.

❖أعلنت وزارة الثقافة عن مسابقة لصياغة نشيد وطني جديد، هل يمكن لهذا النشيد أن يكتبه أو يلحنه، كما النشيد السابق، غير أبناء الوطن؟

–كيف يمكن لفنان أو شاعر أن يبدع عملا فنيا حقيقيا دون ان تكون هناك نوابض في الاعماق تحمل بعضا من أوليات العمل واحساسا عن تحركه صعودا وامتزاجا بالحالة أو الموضوع المراد ابداعه ؟ وان عملا كهذا يفترض ان يكون شاملا من حيث البناء الشعري والنغم الموسيقي، ولاسيما انه سيكون نشيدا وطنيا لشعب له مكوناته واطيافه المتعددة وثقافاته المتباينة وله سيكولوجيته المتميزة والوانه الغنائية المتنوعة. ألا ترى معي بأن الذي تشرب دمه بشمس العراق ورائحة ترابه وتوضأ بأمطاره وتحمل معه آلامه ومعاناته واحتضن جراحاته وسافر معه في الحلم والمناجاة هو الأقدر على تجسيد عمل يحتوي كل هذا النبض الحقيقي ليأتي معبرا عن كل الارتعاشات الحقيقية وخفق الوجدان ؟ وهناك مثل يقول : الحمل الثقيل لا يقوم به الا أهله. وانا اقول ان عملاً مثل النشيد الوطني هو عمل كبير لا يجيد كتابته وتلحينه غير ابنائه الذين تملحوا بترابه وحملوه بأحداقهم ونبض قلوبهم.

❖علمنا انك ساهمت في مسابقة النشيد الوطني الجديد، بكلمات، كيف تصف العمل الذي قدمته كنشيد وطني عراقي ؟

–بداية انه ليس عملا مجردا انه مسؤولية خطرة واقتحام ومغامرة وانا ارتضيتها. والكلمات لا تكفي هنا للتحدث عنه، فهو اضطرام واحتدام وتداخل عواطف ومناجاة وتاريخ وحضارة وطن وبطولات شعب واستلهام صور مشرقة واستشراف مستقبل. فكيف اصف لك كل هذا التداخل والانفعال والامتزاج الروحي بكلمات؟ دعني أشرح لك البداية وما رافقها من حماس ولقاءات بيني والشاعر خلدون جاويد الذي أبدع كلمات النشيد. كان على الشاعر ان يكتب نصا شعريا يشتمل على ذكر حضارة العراق وعن القوميات المتعايشة على ارضه وان يؤكد على الوحدة الوطنية ووحدة تراب الوطن، ويدعو الشعب لبناء عراقي جديد موحد من خلال العمل والتعاون والمحبة. وعلى الموسيقي الملحن ان يمنح هذا النص لحنا جميلا لا يتعدى زمنه الدقيقتين والنصف. بعد مخاض وتفاعل ابدع الشاعر خلدون في كتابة النص وباشرت بصياغة لحن يتلاءم معه آخذا بالاعتبار المقام الموسيقي والايقاع المرافق له. لقد جذبني الشكل الكلاسيكي ووقعت في شباكه وانا مقتنع به، وبعد ان انتهيت منه دمعت عيناي فرحا وتطلعا. وكان علي ان ارسل النشيد مسجلا على قرص مدمج خلال شهر. اتصلت بالفنان الموسيقي بيشرو الذي قام بتوزيع وكتابة النشيد وتسجيل موسيقاه عن طريق الكومبيوتر، لأن تسجيله بواسطة فرقة موسيقية يكلف مبلغا لا استطيع تحمله، وبحثنا عن ستوديو لتسجيل النشيد بأصوات المنشدين بعد ما تدربت المجموعة المتكونة من عائلتي أم لنا وسنا ومرفأ والاصدقاء باسم الانصار وماجد عبود، وتم التسجيل وبدا لنا رائعا وانتابتنا فرحة عظيمة لانجازنا مساهمة ومشاركة جميلة لعيون الوطن. وارسلنا النسخة الى بغداد عن طريق الانترنت ونحن بانتظار ماتقرره اللجنة المختصة.

❖لماذا إخترت كلمات الشاعر خلدون جاويد دون غيرها؟

–كما ذكرت لك، هناك لقاء متواصل بيننا وحوارات حول مختلف الاحداث والنشاطات الفنية والادبية وما يستجد على الساحة العراقية والعالم، وما تفرزه الاحداث السياسية في وطننا الحبيب. ونحن كمجموعة نلتقي ونتحاور ونستمع الى احدث نتاج شعري وموسيقي ونتبادل وجهات النظر النقدية. ضمن هذا المدار نلتقي الشاعر خلدون جاويد والمخرج المسرحي حيدر ابو حيدر والمخرج السينمائي محمد توفيق والشاعر ضياء جمال الدين وغيرنا من عشاق الادب والفن، وجرى الحديث عن المساهمة في كتابة نص شعري للنشيد الوطني، وبما ان الشاعر خلدون جاويد من الشعراء المبدعين وله نتاج شعري غزير متمثلا بدواوين اشعاره العديدة والرائعة وله مكانته وتجربته الناضجة في الشعر والادب ومسيرته الطويلة وحضوره المتميز والفاعل. وبما ان لقاء الشاعر والملحن وتواصلهما معا ومناقشة النص يمكنهما من التوصل الى شكل ابداعي جميل، كان من الطبيعي ان يكون هو الذي يكتب النص الشعري، ولا حاجة للبحث عن شعر لغيره. وقد جاء النص جميلا متضمنا كل الابعاد التي تضمنتها شروط المسابقة، والنص الجميل يمنح لحنا جميلا.

❖سنوات الغربة، هل لها أثر في أعمالك، ومنها النشيد؟

–من ذا الذي يستطيع ان ينفي أثر الغربة فيه سواء أكان هذا الانسان فنانا أم أديبا أم موسيقيا أم مفكرا ام اي انسان آخر؟ لكن أثر الغربة يتجسد في العمل الابداعي بصورة أوضح كالاعمال الادبية والاشكال الفنية وتواتر ونبض الانغام الموسيقية وخاصة في الاغاني. فالفنان الموسيقي والملحن يختار نصوصا ومواضيع تتلاءم مع اختلاجات دواخله ومعاناته وتطلعاته كي يتمكن من التعبير عنها بصدق وابداع. لذا ليس غريبا ان اغلب النصوص التي اخترتها للتلحين، تقع في دائرة الحنين للوطن والحلم باتجاه ان تنجلي عن سمائه الغيوم السود ويعود وطنا آمنا لأبنائه، يعم ربوعه السلام والطمأنينة، فتأتي الالحان محملة بالشجن وتعكس حنينا وفيضا روحيا وتساؤلا مجروحا، ومخاطبة وجدانية لعيون الوطن، وحيرة بين الانتظار وموعد اللقاء. للغربة فعلها المؤثر فأرض ليست ارضك لن تتعرف على ملامحك وسماء غير سمائك لن تتشرب صوتك، لكن لها تأثيرا آخر تستطيع ان تعده ايجابيا، وهو اطلاع الفنان على فنون وآداب البلد الذي يقيم فيه، فيكتسب بعدا معرفيا وثقافيا يوسع من مدار تجربته ويعمقها ويغنيها. فأطلاع الفنان العراقي سيتأثر ايجابيا بأطلاعه ومعايشته لثقافة انسانية ابداعية جديدة يمكن لها ان تنعكس على اعماله القادمة.

❖علمنا بأنك كتبت كلمات نشيد وقدمته للفنان حميد البصري لتلحينه ! ألا ترى في الامر مفارقة ؟

–لا ارى في الامر اية مفارقة! فأنا اكتب الشعر واعايشه واتفاعل مع النغم واعشقه وهما يسكنان معا في اعماقي، وبيني وبين الفنان حميد البصري علاقة تعاون وتواصل فني في مجال الاغنية وقد كتبت له نصوصا لأغان كثيرة واوبريتا شعريا وهو جاهز الآن للتقديم. وحين طلب مني كتابة نص شعري للنشيد الوطني كان ذلك امرا طبيعيا جدا واتفقنا على صياغته حسب ما ورد في كتاب وزارة الثقافة. وبعد ان اكملت النص وارسلته إلى لفنان حميد البصري، ابدى بعض الملاحظات حوله فجرى الأخذ بها وتوصلنا أخيرا الى النص النهائي.

❖ما هي حكاية سالم المرزوق. الاسم والاغنية؟

–ضمن الحالة التي عشناها سنين طويلة في احضان الغربة ونحن نحلم بالعودة للوطن ولقاء الاهل، صرنا نحلم باتجاهات عديدة ونحاول ان ننفذ من خلالها الى ربوع الوطن حتى ولو في الحلم. وعند قراءتي لديوان الشاعر سعدي يوسف، محاولا الالتقاء بنص شعري يتلاءم والحالة تلك كي يأخذني إلى الوطن، يحملني على بيت شعر أوجناح قصيدة. فكان نص (سالم المرزوق)، وهو الاكثر تلبية لجموح حنيني وتطلعي، لقد حرك بي لواعج شتى، فتعاملت معه بمودة وشجن واخترت له المقامات التي تتناسب والصورة الشعرية. سالم المرزوق هو النوخذة الذي يقود السفينة ويعرف مسالك البحر وحالات جزره ومده وانوائه. سالم المرزوق الانسان الطيب الذي يتحسس آلام الناس ومعاناتهم ويأتمنه الناس على اسرارهم والذي بامكانه ان يؤمن العودة للذي غادر وطنه قسرا. فهو الشخصية الشعبية الكريمة الوفية الطيبة ذات المروءة والنخوة والشهامة، وما احوجنا اليوم اليه.